

التعددية في الرسم العثماني للقرآن الكريم
من منظور التخطيط اللغوي
في تحويل النص من منطوق إلى مكتوب

زكريا أحمد أبو حمدة

الجامعة الأردنية

– عمان – الأردن

z.hamdia@ju.edu.jo

التأطير الأكاديمي:

أولاً:

- الترجمة عمل قامت به بعض الفئات منذ قديم الزمن: منذ أن تواصل أقوام من لغات مختلفة بدون لغة ثالثة مشتركة بينهم؛
- وقد أخذت الترجمة حديثاً مركزها بين الاختصاصات المهنية والأكاديمية.

ثانياً:

- يندرج ما ورد أعلاه على التعامل مع الكلام، لغة منطوقة، واختراع الكتابة لتمثيل ما يسمع بما يرى كذلك.

ما قبل الكتابة:

- اللغة وسيلة تواصل منطوق بين الناس سبقت الكتابة وتسبقها كذلك في حياة كل فرد. من هذا المنطلق يتردد بين الباحثين في تاريخ البشرية (مثلاً أرنولد توينبي المؤرخ البريطاني المعروف) أن اختراع الكتابة هي الثورة

الكبرى التي فتحت المجال أمام الناس بالاحتفاظ بالمعلومات على مختلف أنواعها وأهدافها لفترات زمنية غير محددة (هذا بالطبع قبل اختراع الآلات التي تسجل الصوت ثم فيما بعد الصوت والصورة).

- الترجمة في هذه المرحلة التاريخية كانت من المنطوق إلى المنطوق، هذا على الظن أنه كان فارق زمني بين العاملين؛
- أو على الأقل لدى المجموعات التي لم تكن قد وصلت إلى مرحلة الكتابة من ذاتها أو بالتواصل مع من كانوا قد سبقوهم في الكتابة.

بدون تفاصيل في مراحل تطور الكتابة:

من المبادئ التي تممنا مباشرة هنا ما يلي:

1. لا بد وأن واضعي نظام الكتابة العربي (شأنهم في ذلك شأن الأمم التي وضعت نظماً أبجدية هجائية كاملة أم مختصرة) قد أجروا حصراً للأصوات من حيث عامليتها في إبراز الاختلاف في المعنى بين كلمتين بالحد الأدنى من الاختلاف الصوتي، أي التحليل الفونيمي (إن جاز استخدام هذا المصطلح المقترض).
2. ذلك لا بد وأن ذلك المنتج اللغوي قد بني على واحدة من اللهجات العربية (أو أنه جرى وضع نظام لكل لهجة سعى ناطقوها إلى تطوير أو تعديل للهجتهم).
3. آل الأمر إلى استخدام نظام جرت التعديلات عليه إلى يومنا هذا استجابة لمتطلبات اقتصاع بها البعض واستخدامها المستفيدون من التعديلات.

تعدد اللهجات العربية:

- من الطبيعي أن يكون لكل لغة لهجات جغرافية واجتماعية ومهنية مهما كان الناطقين أصلاً بهذه اللغة، فهذه واحدة من المسلمات اللغوية في العالم. وعليه فلكل إنسان لهجة أولى.
- وتختلف اللهجات بدرجات مختلفة على المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية وكذلك في المفردات تبعاً لأمر عدة.
- ومن الطبيعي كذلك أن يتعلم أو يكتسب كثير من الناس لهجات أخرى وبدرجات مختلفة من المهارة.
- الاستماع إلى كلام من لهجة ما يتزامن معه ترجمة ذهنية.
- لما هو معروف لدى المستمعين.
- مثلاً: اليوم عطلة (من ناطق مثلي) تترجم ذهنياً إلى زميل من منطقة عربية أخرى إلى: اليوم إجازة.
- وقد تختلف الاستعمالات فلا تحدث تلك الترجمة بل يتم الاستفسار أو غير ذلك من احتمالات معروفة.
- ويقول ابن جني في كتاب الخصائص ج 2 ص 15-16 "والفهم بين العب (آنذاك) رغم وجود اللهجات، وإن كانوا كثيراً منتشرين... في أرض الله غير متحجرين ولا متضاغطين فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته".
- يقول الحجازي ما زيد قائماً
- ويقول التميمي ما زيد قائم
- أما الجواب عن السؤال: أرايت زيذا؟

- فيجيب الحجازي: من زيدا؟
- أما التميمي فيجيب: من زيد؟

كتابة القرآن الكريم.. المصحف العثماني:

- ترك تفاصيل الأمور التي روي أنها أدت إلى كتابة المصحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (وعنا جميعا كذلك). يقول السجستاني في كتاب المصاحف:

- أرسل الخليفة إلى:
- . زيد بن ثابت
- . سعيد بن العاص
- . عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
- . عبد الله بن الزبير

المعيارية اللغوية: Standardization

- وسأل الخليفة:
- أي الناس أفصح؟ أي الناس أقرأ؟
- أجابوا: أفصح الناس سعيد بن العاص.
- وأقرؤهم زيد بن ثابت.
- وفي رواية أخرى سأل الخليفة: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ثم سأل: فأأي الناس أعرب؟ قالوا سعيد بن العاص.
- قال الخليفة: فليمل سعيد وليكتب زيد.

- ويخلص السجستاني إلى أنه "أقيمت عربية القرآن على لسان سعيد بن العاص بن أمية لأنه كان أشبههم برسول الله (صلى الله عليه وسلم).

المعيارية اللأحادية: Pluricentric Standard

على غير ما تعني المعيارية حرفيا من حيث وجود نمط لغوي واحد وقياس لغوي واحد ومن لهجة واحدة، سواء أكانت لفئة واحدة (لنقل قريش هنا) أو لمزيج متفق عليه مسبق وكان جاهزا (ما يطلق عليه البعض كوينه (Koine

لم يقتصر النص: العثماني في بعض سياقاته على لهجة واحدة وإن غلبت عليه لهجة قريش كما أمرهم الخليفة:
- "انسخوا الصحف في المصاحف... وما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم" (السجستاني ج 1 ص 205)
- أزعّم أنه نزل "بلسان عربي مبين" ولم يحدد لهجة عربية بالذات وإن كان الرسول عليه السلام من قريش. غير أن الرسول عليه السلام كان في المرحلة العمرية الأساسية لاكتساب اللغة **سعدي اللهجة** (أي ناطق بلهجة بني سعد)، فالمعروف أن مرضعته كانت **حليمة السعدية**.

الرسم في المصحف واللهجات:

- إضافة لتعدد صيغ القراءة، هناك وجود واضح للهجات في رسم المفردات ذات المعنى الواحد.

- وفي رأيي إن هذا التعدد هو هبة من الله ولا تتعارض مع وعده، ووعدته الحق، بالمحافظة على القرآن فقال: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" الحجر آية 9

- وأول هذا التعدد هو في أول هذه الآية "إنا" وكذلك "إنا قد أوحى إلينا..." طه 48

- ترد هذه الكلمة (المكونة من وحدتين صرفيتين أن ونا) بإدغام النون في الوحدة الأولى بالنون في الوحدة الثانية

- غير أن نفس الكلمة ترد في سياق آخر "بتفكيك النونين بصيغة "إننا" "قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى" (طه / 45)

- يظهر تعدد الصيغة من حيث الإدغام أو عدمه (التفكيك) في مفردات مثل: يرتد، يذكرون، تذكرون، يشاق.

- وفي المقابل: يرتدد، يتذكرون، تتذكرون، يشاقق.

- وتورد كتب اللغة عن ذلك العصر (لأنه يتوجب تفحص أي نص من حيث التركيب اللغوي من منطلق الوقت الذي تمت صياغته فيه للوقوف على منظور المتلقين له في ذلك الحين بالذات) أن الإدغام كان يغلب على لهجات قبائل وسط الجزيرة وشرقها - تميم، طيء، أسد، تغلب، عبد القيس. وقد قرأ بلهجاتهم كل من: أبو عمرو بن العلاء، حمزة الكسائي، وابن عامر.

- بينما كان التفكيك (أو عدم الإدغام وقد يسميه البعض إظهارا) يغلب على لهجات غرب الجزيرة - قريش، ثقيف، كنانة، هذيل، الأوس، الخزرج.

- وقد قرأ بلهجاتهم كل من: أبو جعفر، ابن كثير، عاصم، يعقوب.
- ونتطرق فيما يلي إلى عينة من هذا التعدد: (1) في الرسم للمعنى ألواح على اختلاف الكلمات، (2) الصيغة الصرفية لفعل الأمر بالمعنى نفسه.

المفردات بتعدد في نوع صوت العلة:

- أصوات العلة (قصيرة أم صغيرة) هي وحدات صوتية ذات "سيادة" لغوية لا تقل قيمة أو أثرا عن الأصوات الأخرى. أما كون القصيرة منها تستخدم فقط للمبتدئين أو في المصحف فذلك موضوع إجرائي وليس موضوعا تتكون الكلمات بدونهم اللهم إلا إن كان في نهاية العبارة حتى ولو كانت العبارة كلمة واحدة.
- الفرق بين من (حرف الجر) ومن اسم الاستفهام أو الاسم الموصول هو صوت العلة القصير المرموز له بالكسرة في الكلمة الأولى وبالفتحة في الثانية. وينسحب هذا التمايز على الأصوات الأخرى.
- نسوق هذه النقطة لأن المفردات التالية وردت في الرسم العثماني بصيغتين ولكن بنفس المعنى.

1. وردت كلمة **السلم** بكسر السين في سورة البقرة، آية 208 "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة".
- وبفتح السين في سورة الأنفال آية 61 "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها".

2. جاءت كلمة "السوء" بفتح السين المشددة وبتسكين الواو في سورة التوبة آية 98 "الظانين بالله ظن السوء" النحل آية 27 "إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين".
- ولكن بضم السين المشددة وبالطبع عدم تسكين الواو في سورة الكهف آية 109 "واقسموا بالله جهد أيمانهم" الأنعام 109
- وهناك أمثلة أخرى في آيات أخریات مثل "النعمة" بفتح النون أو كسرهما، "كرها" بفتح الكاف في سياق وضمها في سياق آخر. جهد
- بينما في التوبة آية 79 "والذين لا يجدون إلا جهدهم"
- وكذا الحج بفتح الحاء وحج بكسر الحاء (البقرة 196 وآل عمران 97 على التوالي).

الصيغة الصرفية للأمر لنفس الفعل:

- المعن هو طرح السؤال
- وسئل القرية التي كنا فيها (يوسف 82)
- وسئلهم عن القرية (آل عمران 163)
- سل بني إسرائيل (البقرة 211)
- سلهم ايهم بذلك زعيم (القلم 40)

الاسم من الفعل أعلاه:

- "قال قد أوتيت سؤالك يا موسى" (طه 36)
- "قال قد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه" (ص 24)

اسم أبي الأنبياء عليهم السلام:

- مع اعتبار وجود ألف صغيرة فوق حرف الراء في السياقات جميعا،
ورد اسم أبي الأنبياء عليهم السلام بصيغتين من الرسم:
- واتخذوا من مقام أبرهم مصلى (البقرة 125 وغيرها)
- صحف إبراهيم وموسى (الأعلى 19)

ويعد:

- فهذه أمثلة يتجلى فيها وجود أكثر من معيارية واحدة في الرسم
لنفس المعنى.
- في لغات كثيرة، يظهر التعدد أو التنوع في الرسم. وقد حاول
واضع المعجم الأمريكي الأول نوح وبستر تغيير التهجئة لعدد كبير من
المفردات الانكليزية تعبيرا عن توجه نحو الاستقلال اللغوي إضافة للاستقلال
السياسي عن المملكة المتحدة. إلا أن معظمها لم يتكرس في أمريكا أو في
غيرها.

وفي القرآن:

- فإن البعض يرى أن وجود هذا التنوع يسجل إلى الأبد مخاطبة أقام
العرب وقت التنزيل بالتنوع الذي ترى فيه كل فئة منهم جزءا من هويتها
اللغوية.

وماذا بعد بعد؟

- نتوجه إلى المهتمين بهذه الجزئية اللغوية في القرآن الكريم بالرسم العثماني ليتدارسوا بينهم كيف يمكن التعامل معها في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى.